FRANZ KAFKA

فنان الجوع

أقصوصة

ترجمة عبد المجيد طعام

فن الجوع - فرنز كافكا

ترجمة عبد المجيد طعام

فرانز كافكا (Franz Kafka) كاتب تشيكي من أصل يهودي وُلد في 3 يوليو 1883 وتوفي في 3 يونيو 1924. يُعتبر واحدًا من أبرز الكتّاب في الأدب العالمي ،له تأثير كبير على الأدب الحديث والفلسفة.
أشهر أعماله الروائية نذكر "المسخ " (Metamorphosis)، وهي رواية رجل يتحول فجأة إلى حشرة عملاقة دون سبب واضح، وهو يستكشف من خلال هذه القصة مفاهيم العزلة والغربة والانغماس في الواقع الغريب والمريب.
كتب أيضًا "العملية (The Trial) "وهي رواية تروي قصة رجل يدعى "يوزف ك." يجده نفسه متورطًا في عملية قانونية غامضة ومُريبة لا يعرف سببها أو طبيعتها، وهذه الرواية تتناول مواضيع السلطة والفهم الفاشل للقانون والتسلط البيروقراطي.

أسلوب كافكا يتميز بالغموض والتعقيد والاهتمام بالتفاصيل الصغيرة والتركيز على الشعور بالعزلة والإحباط وعدم الانتماء. يُعتبر أسلوبه الأدبي فريدًا ومميزًا وكتاباته تثير الكثير من التأمل والتفكير في الحياة البشرية والشعور بالغربة في العالم الحديث.

فن الجوع – فرانز كافكا

شهدت العقود الأخيرة انخفاضا كبيرا في اهتمام الجمهور بفناني الجوع. في السابق كانت تنظم عروضا ضخمة لفن الجوع ، تخصص له إعلانات توضع على لوحات كبيرة ملونة بتصاميم مثيرة ، اليوم أصبح أمرًا مستحيلاً أن تقام مثل تلك العروض. في الماضي، كانت المدينة بأكملها مهتمة ومنشغلة بفنان الجوع. كان الاهتمام ينطلق مع يوم بداية العرض ،ويتزايد مع توالي أيام الجوع ، إلى أن يخبو في الأيام الأخيرة ،ويبدأ التفكير في جمع أدوات وأغراض السيرك ،وشحن العربات بالحيوانات . كل سكان المدينة كانوا يريدون رؤية فنان الجوع مرة واحدة على الأقل في اليوم، في الأيام الأخيرة للعرض لا تجد الكثير من الزوار ،إلا بضعة ممن اشتروا تذاكر الدخول إلى الحلبة ، كانوا يقفون أو يجلسون طوال اليوم أمام القفص الصغير المشبّك، أين تم وضع فنان الجوع ،أحيانا كان يقف فنان الجوع ويشد بيديه على أعمدة الشباك ، خاصة عندما كان يريد تغيير روتين التمدد على التبن الأصفر المتناثر. في حالات نادرة كان يشهد القفص المشبك زيارات ليلية ، إذا ما بذل عمال السيرك جهدا مميزا أثناء

صياغة إعلانات محفزة ومؤثرة يمكن أن تجذب أولائك الذين لم يعودوا يهتمون بهذا الفن المنهك.
خلال الأيام الجميلة، كان المنظمون يعرضون القفص في الهواء الطلق، خصيصًا للأطفال الذين كانوا ينظرون إلى فنان الجوع باهتمام واستغرب مبهم ، وهذا ما أصبح يغيب لدى الكبار، لم يعدوا يجدون في عرض هذ الفن ما يثير انتباههم وفضولهم ، سوى المشاركة في الحدث الذي تحول إلى نوع من الموضة. لم يكن الأطفال يخفون اندهاشهم وإعجابهم ، كانوا يمسكون بأيدي ذويهم ليشعروا بالأمان وهم ينظرون إلى فنان الجوع الممدد فوق التبن الأصفر داخل قفصه الصغير.
كان فنان الجوع شاحب اللون، يرتدي كنزة صوفية سوداء تمنحه شيئا من الدفء ، لكنها كانت تبرز ضلوعه بوضوح، رغم أن المسؤولين عن العرض وضعوا له كرسيا داخل القفص ، إلا أنه كان يُفضل الجلوس على التبن ألصفر المبعثر على الأرض. كان يتعامل مع المارين أمام قفصه بكثير من الأدب ، يومئ برأسه ويجيب عن أسئلة الفضوليين بابتسامة مضطربة، وكان يمد يده أيضًا عبر الشباك

ليمكن المارين من مس نحافته. مع ذلك، أراد أن يبق لغزا محيرا ، لا يظهر كل إحساساته وإنما يغرقها تمامًا في ذاته، ولا يُكلف نفسه عناء الاهتمام الزائد بأي شخص، لم يكن يهتم حتى بالوقت الذي كان مهمًا جدًا بالنسبة إليه .كان يقضي ساعات كثيرة وحيدا داخل القفص ، يشتغل بحب وإخلاص. وضعوا بجانبه داخل القفص الصغير كوبا صغيرا فيه ماء يُرطب به شفتيه.

خلاف الجماهير التي كانت تتغير باستمرار، كان هناك بصفة دائمة حراس يتم اختيارهم من بين الزائرين، يعملون عادة في مجموعات تتكون من ثلاثة أفراد، مهمتهم مراقبة فنان الجوع على مدار الساعة للتأكد من عدم تناوله الطعام بالخفاء. كانت هذا الإجراء مجرد تدبير وقائي تم اتخاذه لتهدئة وطمأنة الحشود، لأن أصحاب السيرك كانوا يعلمون جيدًا أن فنان الجوع خلال فترة الصيام لن يأكل أبدًا، مهما كانت الظروف، حتى في حالة الإنهاك التام الذي قد يهدد حياته أو في حالة الإغراء ، إنهم متأكدون من أنه لن يتناول أي شيء، لأن شرف فنه وإخلاصه له

يمنعه من ذلك .بالطبع لم يكن كل الحراس قادرين على فهم ذلك بشكل دقيق.
لضمان ممارسة فنان الجوع لفنه بكل مصداقية وشرف ، وضع مسؤولو العرض دوريات حراسة ليلية لمراقبته بأسلوب مرن، كانوا يجلسون عمدًا في أركان مظلمة ، يشغلون أنفسهم بلعبة الورق، لكنهم كانوا يقدمون له الدعم البسيط تشجيعا على المجهود الجبار الذي يقوم به لتحقيق فرجة مؤلمة . لكن كان هناك أمر يزعجه أكثر من أي شيء آخر في هؤلاء الحراس ، كان لا يطيق التشويش الذي يحدثونه ، كان يؤثر على هدوئه الداخلي ، ويجعل الجوع يزداد سوءًا بشكل فظيع.
بين الفينة والأخرى ، كان ينتصر على ضعفه ، فيبدأ بالغناء أثناء مراقبتهم له، يصدح بأنغامه قدر استطاعته ليظهر للجميع أن الجوع لم ينل منه ، لم يكن هذا الصنيع ذا فائدة كبيرة، كان الحراس يشكون في أمره ، ويتبادلون ابتسامات ماكرة ويتساءلون عن طرق الاحتيال التي يمارسها ، كانوا يتساءلون كيف يمكن لشخص مراقب ليل نهار أن يتناول الطعام باحتيال خارق؟ كيف يمكن لإنسان أن يغني وهو تحت

ضغط الجوع المنهك ؟ كان فنان الجوع يُفضل بشكل كبير الحراس الذين يجلسون بالقرب من قفصه، ويستخدمون مصابيح يدوية زودهم بها المدير. لم يكن الضوء الساطع منها يزعجه على الإطلاق، كان قادرًا على الغَفْو في أي ضوء وفي أي وقت، حتى في الغرف المزدحمة والصاخبة.

مع هذا النوع من الحراس، كان مُستعدًا تمامًا لقضاء الليلة كاملة دون أن يغمض عينيه، كان يمازحهم ويشاركهم قصصًا من حياته الجوالة، ثم يُصغي إلى قصصهم الشخصية، فقط ليحافظ على استيقاظهم وليظهر لهم بوضوح أنه لا يتناول أي شيء في قفصه ،وأنه يعاني جوعًا شديدًا بطريقة لا يمكن أيًا منهم فهمها. لكن أكثر اللحظات سعادةً بالنسبة إليه كانت عندما يأتي الفجر ويستمتع بوجبة فطور وفيرة على نفقته الخاصة، كان الحراس يشاركونه الأكل بشهية الرجال الأصحاء بعد ليلة بيضاء شاقة. هناك العديد من فسروا ما يقع بينه وبين الحراس كل صباح بأنه مجرد محاولة ماكرة لشراء ذمتهم ،لضمان غض طرفهم في بعض الأوقات الحرجة . أراد المدير الفني للعرض ان يضع حدا

لمثل هذه التفسيرات باستئجار حراس آخرين يحافظون على الأمن ،ويراقبون فنان الجوع ، بدون مشاركته في الفطور الصباحي ، لكنه لم يجد من يريد أن يتكفل بهذه المهمة ، لكنهم ظلوا يشككون في ما يدعيه فنان الجوع.

كانت هذه الشكوك طبيعية ،ولم يكن باستطاعة فنان الجوع أن يفلت منها. لم يكن أحد قادرًا على قضاء جميع أيامه ولياليه في مراقبته. لذلك، لم يتمكن أي فرد من أن يعرف بشكل موثوق ما إذا كان فنان الجوع قد جاع حقًا دون انقطاع وبشكل مثالي. كان هو الشخص الوحيد الذي يعرف حقيقته، والقادر على أن يكون في الوقت نفسه المشاهد الراضي تمامًا بجوعه الخاص ، والملتزم بشرف فنه.

إضافة إلى التفسيرات المشككة ،كان هناك سبب آخر ساهم في تصاعد نسبة عدم الرضا داخل المدينة بما يقوم به فنان الجوع، هناك من كان يشكك في فن الجوع نفسه ، رأى البعض ان فنه ليس هو الذي جعله يفقد الوزن إلى هذا الحد، وتأسف آخرون على ما آل إليه ، لهذا فضلوا أن يبتعدوا عن مشاهدة العرض، لم يعودوا يتحملون رؤيته. ولكن في الحقيقة، كان فنان الجوع هو

الوحيد الذي لم يكن راضٍ على نفسه. كان يدرك مدى سهولة التجويع ، كان يقول إنه أسهل شيء في العالم. لم يخف ذلك أبدا، لكن الناس لم يصدقوه ابدا.

في أحسن الأحوال، كان الناس يظنون أنه شخص متواضع، وفي كثير من الأحيان كانوا يعتقدون أنه يسعى لجلب الانتباه إليه، أو ربما كانوا يرونه مُبتدعا يعرف كيف يُسهّل الجوع ، ويجعل منه فنا ، كانت لديه الجرأة للاعتراف جزئيًا بهذا الأمر. كما كان عليه أن يتحمُّل كل هذه الاعتقادات، والشكوك ، لقد اعتاد عليها على مر السنين، ولم يعُد يشعر بالحرج منذ فترة طويلة، على عكس ما كان يحدث في السابق حيث كان وجهه يحمر كثيراً عندما يُحاورونه حول جوعه. ومع ذلك، استمر هذا الشعور بعدم الرضا يعتصره داخليًا، ولم يتخل عنه بشكل طوعي ، وانما بعد صراع داخلي مؤلم، وقد اعتبر ذلك إنجازًا كبيرا تحقق له.

لاستعادة ألق فن الجوع وضمان مداخيل مالية غير مسبوقة ،نظم المدير الفني للسيرك عرضا جديدا لفنان الجوع، وحدد أربعين يوما كزمن أقصى لامتداد الجوع .

لم يُسمح سابقا لفنان الجوع بأن يجوع لفترة أطول من هذه . من هنا كان لابد أن يتزامن العرض مع حملة إعلانية كبيرة جدا ،وقد أظهرت التجربة أن الإعلان التصاعدي بشكل تدريجي، يُمكن أن يحفز اهتمام سكان المدينة لمدة تغطي أيام العرض تقريباً. في اليوم الأربعين ، امتلأت المدرجات بجمهور متحمس ينتظر فتح باب القفص المُزيَّن بالزهور ، وهو يتتبع حركات فرقة عسكرية تقدم موسيقى حربية ، لم يفهم دواعي وجودها . دخل القفص طبيبان للقيام بالفحوصات الطبية الضرورية، تلاها إعلان النتائج عبر ميكرفون لطمأنة الجمهور على الحالة الصحية لفنان الجوع. ثم تقدمت امرأتان عبرتا بحركاتهما وابتساماتهما عن سعادتهما لأنهما تم اختيارهما للوقوف أمام الجمهور لمساعدة الفنان المُحاصَر بالجوع والقضبان الحديدية أثناء خروجه من القفص .
وهو يهم بمغادرة التبن الأصفر المتناثر داخل قفصه ،وضع ذراعيه المجعدتين بمحض إرادته في أيدي السيدتين ، لكنه كان في قرارة نفسه يرفض النهوض ، فجأة كمطرقة سقطت على رأسه المتدلي إلى الأمام تساؤلات كثيرة: لماذا

أتوقف الآن بالضبط بعد مرور أربعين يومًا؟ كان بإمكاني البقاء لفترة أطول بكثير؟ ربما لفترة غير محدودة تقريبًا؟ لماذا أتوقف الآن وأنا في أحسن حالات الجوع ؟ لماذا أتوقف الآن ، وأنا لم أصل بعد إلى أفضل مراحل الجوع؟ لماذا أرادوا فجأة أن يختموا هذا النجاح ؟ لماذا أرادوا أن يضعوا حداً لتجربتي في تجويع جسدي؟ لماذا أرادوا أن يُنهوا هذا الأمر ؟ ألا يريدونني أن أصبح أعظم فنان للجوع في تاريخ الإنسانية ؟ كان يريد أن يقود جسده إلى المجهولة ، لم يكن يشعر بأي حدود لقدرته على التحمُّل. كان متعبًا، ومرتاحًا على التبن الأصفر الذي كان يستلقي عليه داخل القفص الضيق.

والجمهور ينتظر، يراقب ويترقب ، كان على فنان الجوع أن يوقف مطارق أسئلته ليقوم ويستقيم ، ثم يتجه نحو المائدة الصغيرة التي وضعوا له عليها طعاما خاصا ، لكن مجرد التفكير في الأمر جعله يشعر بالغثيان، كان يُحاول كبت هذا الشعور، احتراماً للسيدتين. رفع نظره إلى أعينهن التي بدت وديّة بشكل مُضلّل، رغم صلابتهن الفعلية. هز رأسه الثقيل على عنقه الضعيف. لكن كل الأمور كانت تجري كما

العادة. أقبل المدير الفني وهو يرفع ذراعيه بصمت فوق فنان الجوع، كما لو كان يتوسل السماء أن تلقي نظرة واحدة على الجسد البائس لهذا الفنان الجائع، الذي كان يؤدي فنه المؤلم بأقصى درجات الإخلاص إلى درجة الإعاقة. كان المدير الفني يريد أن يظهر كل تلك الإعاقة للجمهور ، كان يشد بعناية فائقة على خصره النحيل ليظهر هشاشته ، ثم بحركة خفية كان يجعل ساقيه وجذعه يتأرجحان دون سيطرة منه. أعاده المدير الفني إلى السيدتين ، بينما كان فنان الجوع يُعيد النظر في كل شيء، رأسه ينحني نحو صدره، كما لو أنه وصل إلى هناك وتوقف بشكل غامض. جسده كان فارغًا من أي معنى؛ الساقان كانتا تحتفظان بتوازن هشّ، تُمسكان بعضهما البعض بشكل مضطرب.

كان وزن جسم فنان الجوع، الذي لم يعد يهم كثيرًا، يضغط على إحدى السيدتين ، فحاولت بكل قوة أن تمدد عنقها لمنع وجهها من ملامسة جسده، لكنها فشلت، في الوقت نفسه، كانت رفيقتها أكثر حظًا، كانت تمسك بيد الفنان الجائع فقط ، لكن بتوتر شديد ،دون أن تقدم أية مساعدة للسيدة الأخرى.

انهارت الحُزمة الصغيرة من العظام وسط الدموع ، بينما تعالت ضحكات الجمهور المسحور، لإنقاذ الموقف تم استبدال السيدة التي اشتد توترها بخادم كان مُتاحًا، فأوصلا فنان الجوع إلى المائدة الصغيرة ، حيث قدم له المدير الفني الوجبة ،ز أجبره على ابتلاع القليل منها ، ثم سقط في نوم شبيه بالإغماء ، بينما كان المدير الفني يحاول أن يصرف انتباه الجمهور عن الوضع الخطير الذي آل إليه بنكت مضحكة عن الفنان نفسه. قبل الإعلان عن نجاح العرض رفع المدير الفني مع كل الفريق كؤوس نبيذ في صحة كل الحضور، وباندفاع كبير تعالت الهتاف والتصفيق .. ثم تفرق الجميع وهم في غاية الرضا عن الحدث ، إلا فنان الجوع، كما العادة هو الوحيد الذي لم يكن راضيًا.

عاش فنان الجوع على نفس النمط لسنوات طويلة ، شهدت بعض فترات قصيرة من الراحة، كان مُحاطًا بمجد ظاهر، يتلقى التحيات من جميع أنحاء العالم. ومع ذلك، في معظم الأوقات، كان يعاني من مزاج مظلم مخيف ومرعب، يطفو على السطح بسبب عدم أخذه بجدية ،وخيبة أمله وعدم تحقق انتظاراته ، لكن ماذا كان يتمنى؟ كل

ما تمناه في حياته أن يتقرب منه شخص ، لا يهمه من يكون ، شخص طيب القلب يتعاطف معه ، ينصت إليه وهو يشرح له أن حزنه وغضبه المفاجئ الذي يتجاوز إرادته ربما يكون بسبب الجوع، قد يحدث - خاصة في مراحل متقدمة من الجوع - أن ينفجر غضبا في وجه الجمهور ، فيبدو مثل الحيوان المفترس، يهز قضبان قفصه بشدة تثير رعب الجمهور كله. في مثل هذه الحالات، كان للمدير الفني عقوبة يستخدمها بشكل متكرر ليسترجع الفنان الجائع الهائج هدوءه ، ليتناول عن غضبه أمام الجمهور الحاضر، معترفًا بأن الغضب الذي ينبعث من جوعه، يجد الأشخاص العاديون صعوبة لفهمه، وهو ما يبرر تصرفاته العدوانية التي تصدر عنه أحيانا. رغم تراع الفنان الجائع عن غضبه ، إلا أن المدير الفني اصر على أن يمارس سلطته وأن ينزل عليه عقابه المعتاد ، فبدأ بتشويه الحقائق أمام جمهوره ، أخبر الجمهور عن تحديات فنان الجوع التي بقيت معلقة بدون إنجاز ووصفها بأنها مجرد ادعاءات فارغة ، كان يثني على طموحه العظيم ونيته الحسنة تضحياته الكبيرة في سبيل فنه ، لكنه في نفس الوقت تعمد

نفي كل ما قاله في حقه ، ليعمق جراحه كان يعرض صورا تُظهره في يومه الأربعين من الصيام، مرهقًا ملقى على فراشه وهو على حافة الموت ، كما كان يعرض صورا أخرى تثبت انقطاعه المبكر عن الصيام ، كل هذا كان يقدمه المدير الفني على أنه الحقيقة الغائبة لفنان الجوع.
كان من المستحيل أن يتصدى الفنان الجائع لما يقوله المدير الفني، ظل يستمع دون أن يحتج أو يعارض ، لكن حينما كان يعرض المدير الفني صوره على الجمهور، ترك القضبان وانهار على تبنه الأصفر متألمًا ومتضايقًا. بعد أن انهار الفنان الغاضب الجائع استعاد الجمهور ثقته، وبكثير من الحذر اقترب منه بعض الأفراد ليتفرجوا على جسده النحيل المنهك .
عندما يتذكر الناس كل تلك المشاهد بعد مرور بضع سنوات، يجدون صعوبة لفهم ما حدث، خاصة وأن فنان الجوع لم يعد يذب الزوار إلى عروضه، لقد حدث هذا التحول بشكل مفاجئ تقريبًا، قد تكون له أسباب عميقة، ولكن من سيهتم بتوضيحها؟ لا أحد يهتم ،على أي حال، تغير الجمهور الجائع الذي استمتع لسنوات بفنان

جائع ، ثم تخلّى عنه، أصبح مهتما بعروضً أخرى يفضلها .

أراد المدير الفني للسيرك أن يعيد الحياة لهذا الفن المؤلم، فنظم جولة جديدة لفنان الجوع لاستكشاف إمكانية عودة اهتمام الجمهور السابق ، لكن كانت المشاعر السلبية والكراهية تجاه عرض الجوع لا تزال تزدهر كما لو أنه تم الاتفاق السري على ذلك. بالطبع، لم يحدث هذا فجأة، ومن المؤكد أن الناس سيستعيدون اهتمامهم بفن الجوع في يوم من الأيام، لكن هذا لن يكون مؤلمًا بالنسبة لأولئك الذين سيستعيدون هذا الاهتمام من جديد ، غير أن السؤال الذي فرض نفسه في تلك اللحظة ،هو ماذا يمكن أن يمنح الفنان المتعب جوعًا للجمهور ولفنه ؟

لا يُمكن لشخص كان يجني هتاف وتصفيق آلاف المتابعين ،أن يظهر بعد الغياب الطويل زهز يمارس فنه في خيام صغيرة لسيرك صغير ،خاص أنه متشبث بفنه، ولا يريد أن يغير مهنته الفنية رغم تقدم عمره ، مجرد التفكير في عرض جديد ،جعله متحمسًا بشكل مفرط لأن يجوع من جديد ولفترات أطول . لذا، قرر أن يعمل كفنان

سيرك في دور العروض الكبيرة. للحفاظ على كرامته، رفض حتى النظر في شروط العقد.
كانت دور السيرك الكبيرة، تتوفر على إمكانياته هائلة،كانت عروضها المتكاملة تستقطب جماهير عريضة، لهذا كان بإمكانها أن توظف أي شخص في أي وقت ، ولم تجد أي مانع لتوظيف الفنان المتعب جوعًا، طالما أن متطلباته بسيطة ولن يكلفها إلا أجرا زهيدا وقفصا زكومة من التبن الأصفر.
لم يكن الفنان المتعب جوعًا هو الفنان الوحيد المُعيَّن بالسيرك الكبير، إلا أنه كان يعتبر نفسه الأهم، وفضل أن يستعمل الاسم الفني الشهير الذي عرف به ، لأنه اسم لا يفنى مع تقدم السن. هكذا ظل ممثلا لهذا الفن الذي يظل صامدًا عبر الزمن . لم يفقد الفنان المتعب جوعًا شغفه وبراعته، على العكس، كان يُؤكد بكل عزم أنه ما زال يجوع بنفس الطريقة التي كان يجوع بها في الماضي أو أكثر، بل تعهد بإثارة دهشة العالم، وإذا أُتيحت له الفرصة، سيُظهر قوته بشكل لا يُصدق.
رغم التحدي الذي غمره وهو في خريف العمر ، إلا أنه لم يفقد حسه الواقعي ، قبل بدون أية

مشكلة أو مفاوضة، أن يوضع في مكان غير مألوف داخل قفصه، ليس كنجم العرض كما كان معتادًا، بل قبل أن يوضع داخل قفصه المشبك الضيق خارج الحلبة، قرب إسطبلات حيوانات السرك، في مكان يسهل الوصول إليه. واهتموا بوضع لوحات كبيرة ملونة، أحاطوا بها القفص تشير إلى ما يحدث داخله.

أثناء الاستراحات المبرمجة بين فقرات العروض ، كان الجمهور يتجه نحو الإسطبلات لرؤية الحيوانات المفترسة والأليفة، ومن المرجح أنه كان يمر أمام القفص لألقاء نظرة عليه.

كان فنان الجوع ينتظر هذا المرور أمام قفصه بشوق وحماس ، لأن وقوف الزوار أمامه كان هو الهدف الطبيعي لحياته ،لكنه كان في نفس الوقت مصدرًا للرعب الساكن في ذاته . في البداية، كان الانتظار تجربة جد صعبة ، ثم تحول إلى متعة ،أصبح يشعر بالحماس عندما يرى الجمهور وهو يتجه نحوه، كان يراقب حركة الزوار من موقعه البعيد ، وعلى الرغم من عيوب الرؤية عن بعد ، إلا أنها كانت دائمًا وبدون استثناء رائعة . في الحقيقة كان الزوار يمرون أمامه فقط ، لأن قفصه تواجد في نفس

الطريق المؤدية إلى اصطبلات الحيوانات ، لم يكونوا يقصدون زيارته ، وإنما كانوا يقصدون الوصول إلى حظائر الحيوانات. كانت هذه الرؤية عن بعد الأكثر إثارة بالنسبة إليه. عندما كانوا يقتربون، يتجمعون حوله ويحدثون ضجيجا من الصياح والتصفير، كانوا يشكلون مجموعات لا تنتهي، من بينها كانت هناك مجموعة تثير غضبه ، تلك التي ترغب في رؤيته بسكينة وصمت، ليس لأنها تتعاطف معه ، بل لأنها لم تكن تولي أي اهتمام به. كانت هناك مجموعة أخرى من الزوار يمرون بسرعة دون أن يلتفتوا إليه ، لأنهم كانوا يريدون الوصول بسرعة إلى الاسطبلات ، ليقضوا أطول وقت ممكن في مشاهدة ومداعبة الحيوانات .

أحيانا كان يصادف بعض الفرص النادرة التي لا تتكرر كثيرا ، حينما يرى من موقع قفصه البعيد أبا مع أطفاله يقودهم نحوه ،عندما يقتربون منه يستمع إلى الأب وهو يسترسل في الحديث عنه لأطفاله ،مذكرًا بماضيه حينما كان يشارك في معارض ضخمة ، أين كان يعرض قفصة وسط الحلبة وليس قرب اسطبلات الحيوانات ، لم يكن الأطفال يفهمون كلام أبيهم ولا قصده ، لأنهم لا

زالوأ في سن المدرسة ولا يعرفون معنى الحياة الواقعية، كانوا يقفون أمام الفنان الجائع، يتساءلون في صمت ، ما هو الجوع ؟
كان الفنان الجائع يفكر بأسى في وضعه الحالي ،وكيف تراجع الاهتمام بفنه النبيل ، وكيف اصبح يقدم عروضه بالقرب من الاسطبلات ،قد تخطر أحيانًا في ذهنه فكرة أن كل شيء كان سيكون أفضل ، لو لم يوضع قفصه في ذلك المكان المقرف الذي سهل على الجمهور الاختيار، بين زيارته أو زيارة الحيوانات ، دون الإشارة إلى الروائح الكريهة الناتجة عن الروث وبقايا الطعام المتعفن التي كان عليه أن يتحملها إضافة إلى مشاق الجوع، ناهيك عن اضطراب الحيوانات في الليل، ونقل اللحوم إلى الوحوش، وصراخها عندما يتم تغذيتها. كل هذا كان يؤلمه بشدة ويثقل كاهله باستمرار. ومع ذلك، لم يجرؤ على نقل شكواه إلى الإدارة؛ كان يجد عزاءه في إقناع نفسه بالخدمة الجليلة التي يقدمها للحيوانات فقد يكون الكثير من الزوار يقصدونه هو بالزيارة ، وبالمناسبة يزورونها هي كذلك.
لم يكن يعرف أبدًا ما إذا كان سيتم إخفاؤه في يوم ما ، أو الاستغناء عنه إذا أصبح وجوده يمثل

عائقا في الطريق المؤدي إلى الاسطبلات، هذا الاحتمال الصغير، في الواقع، أصبح يكبر ويكبر مع مرور الوقت. ولكن إلى حدود اليوم ، مازالت الرغبة الغريبة التي تحدو المدير الفني لجذب انتباه الجمهور إلى الفنان المُجاع ، الذي يمكنه أن يجوع بالقدر الذي يختاره، وهو ما كان يفعله، ولكن لا يوجد شيء يمكنه الآن أن يُنقذه من هذه اللامبالاة والتهميش، الناس يمرون أمامه دون أن يلتفتوا إليه. لم يعد أحد قادر على أن يشرح لأي شخص ما هو فن الجوع؟! لم يعد بإمكان أي شخص أن يوضح معنى ودواعي هذا الفن ، كل الناس لم يعد لهم أدنى اهتمام بفنان الجوع. كانت اللافتات الجميلة تتسخ وتصبح غير قابلة للقراءة، تُمزق إلى شرائح، لم يكن أحد يفكر في استبدالها؛ كما تم إهمال اللوحة الصغيرة التي كانت تُعلن عدد أيام الجوع المكتملة، والتي كان يتم تحديثها بعناية في بداية كل يوم، تعب العاملون من هذا العمل الصغير بعد بضعة أسابيع. وهكذا، استمر فنان الجوع في مزاولة فنه كما كان يحلم به في السابق، ونجح في ذلك بسهولة كما أعلن، لكن لم يعد أحد يعد الأيام، ولا أحد - حتى الفنان نفسه - يعرف ما حققه.

كان فنان الجوع يتألم كثيرا ،عندما يتوقف الزائر أمام قفصه بلا هدف، يسخر من هذا الفن أو يسرد الأكاذيب الساذجة التي يمكن أن تبتكرها اللامبالاة والشر الطبيعي الموجود في الإنسان . في الحقيقة لم يكن الفنان الجائع من يخدع العالم، كان يعمل بأمانة، ولكن العالم كان يخدعه ويسرق حياته.

مرت الأيام ، وحانت نهاية ذلك الزمن المؤلم أيضاً. ذات صباح شاحب ، لاحظ مفتش السيرك وجود قفص فارغ بالقرب من الاسطبلات ، استفسر العاملين عن سبب عدم استغلال القفص الممتلئ بالقش المتعفن بشكل مفيد؛ لم يكن أحد يعرف السبب ، حتى تذكر أحدهم الفنان الجائع بفضل لوحة إحصاء الأيام. تم تحريك القش بواسطة العصي وتم العثور على الفنان.

- "أنت هنا مرة أخرى بدون أكل؟" "متى ستتوقف أخيرًا؟" سأل المفتش

- "أعتذر للجميع"، همس الفنان الجائع.

كان المفتش الوحيد القادر على فهم ما يقوله الفنان الجائع بعد أن وضع أذنه على القضبان الحديدية.

- "بالطبع"، أجاب المفتش ، ثم قال له :"نحن نسامحك".
- "لطالما أردت أن تعجبوا بجوعي"، صرح الفنان الجائع.
- "ولكننا نعجب به"، أجاب المفتش بتعاطف.
- "ومع ذلك، يجب عليكم عدم الإعجاب به"، أكمل الفنان الجائع.
- "حسنًا، فلنعدم الإعجاب به"، "لكن لماذا ؟" سأل المفتش
- "لأنني مضطر للصوم، لا يمكنني فعل شيء آخر"، أجاب الفنان الجائع.
- "ولماذا لا يمكنك فعل شيء آخر؟" سأل المفتش
"لأنني..."، قال فنان الجوع، وهو يحاول أن يرفع رأسه الصغير قليلا ويتحدث مقدمًا شفتيه، كأنه يريد أن يمنح قبلة لشخص ما، أصبح قريبًا جدًا من أذن المفتش ، ليضمن عدم ضياع أي من كلماته، ثم استمر في الكلام "...لأنني لم أستطع أن أجد أطعمة تروق لذوقي. إن وجدتها، صدّقني، لما لفت الأنظار إلي ، كنت سأشبع مثلك ومثل الآخرين." هذه كانت كلماته الأخيرة،

لكنه حافظ في عينيه الخافتتين على التأكيد الثابت، على أنه مستمر في ممارسة فن الجوع.
- "الآن، رتبوا هذا القفص قليلاً"، قال المفتش للعاملين وانصرف .
دُفن الفنان الجائع مع التبن الأصفر. ووُضعت داخل قفصه أنثى فهد صغيرة. استحسن الزوار التخلص من محتويات القفص بما في ذلك فنان الجوع ،واهتموا بمراقبة الحيوان البري الصغير وهو يتحرك في الفضاء الذي اعتبر خاليًا منذ فترة طويلة ، وإن كان فنان الجوع قبل أن يدفن يستلقي بداخله تحت التبن الأصفر ، يمارس فنه بكل إخلاص ، لم يسبق له أن قدم أي شكوى عن تردي أوضاعه ، لم يكن الحراس يبالون به ، تعودوا على أن يضعوا له طعامه المفضل دون أن يراقبوا وضعه الصحي ، أما هو فقد استأنس بطبيعة حياته داخل القفص ،دون أن يعبر عن اشتياقه للحرية. لكن طيلة تجربته الفنية المؤلمة بدا وكأنه يحمل الحرية في أعماقه ؛ كأنها كانت محتجزة بين فكيه، كانت تبدو فرحة الحياة متدفقة من فمه بشغف ، لدرجة لم يكن من السهل على المشاهدين مقاومتها. كانوا فقط يتحكمون في

أنفسهم، يتجمعون حول القفص، ولا يرغبون في مغادرته.

FRANZ KAFKA

فرانز كافكا كاتب تشيكي من أصل يهودي وُلد في **3** يوليو **1883** وتوفي في **3** يونيو **1924**. يُعتبر وإحدًا من أبرز الكتّاب في الأدب العالمي ،له تأثير كبير على الأدب الحديث والفلسفة.
أشهر أعماله الروائية نذكر "المسخ" ، وهي رواية رجل يتحول فجأة إلى حشرة عملاقة دون سبب واضح، وهو يستكشف من خلال هذه القصة مفاهيم العزلة والغربة والانغماس في الواقع الغريبٍ والمريب.
كتب أيضا "العملية" وهي رواية تروي قصة رجل يدعى "يوزف ك." يجده نفسه متورطًا في عملية قانونية غامضة ومُريبة لا يعرف سببها أو طبيعتها، وهذه الرواية تتناول مواضيع السلطة والفهم الفاشل للقانون والتسلط البيروقراطي.
أسلوب كافكا يتميز بالغموض والتعقيد والاهتمام بالتفاصيل الصغيرة والتركيز على الشعور بالعزلة والإحباط وعدم الانتماء. يُعتبر أسلوبه الأدبي فريدًا ومميزًا وكتاباته تثير الكثير من التأمل والتفكير في الحياة البشرية والشعور بالغربة في العالم الحديث.

ديسمبر 2023

زيري للطباعة
ZIRI LI TEBAAA
impression-publication-publicité

أقصوصة فنان الجوع

ترجمة عبد المجيد طعام